محاضرة التّصوّف

(تابع)

معناه في الاصطلاح:

هناك عبارات مختلفة وعديدة، قدّمت كلٌّ واحدة منها أحد المعاني الممكنة للتّصوّف، قال بعضهم: **(إنّه الدّخول في كلّ خُلُقٍ سَنِيٍّ، والخروج عن كلّ خُلُقٍ دَنِيٍّ)**، وقيل: **(أن يكون العبد في كلّ وقت بما هو أولى به في ذلك الوقت، بمعنى أنّه إن كان في وقت صلاة كان مصلّيا، وإن كان في وقت ذكر كان ذاكرا، وإن كان في وقت جهاد كان مجاهدا)**، **لذلك قيل: (الصّوفيّ ابن وقته)**، وقيل في تعريف التّصّوف: **(الأخذ بالحقائق، واليأس بما في أيدي الخلائق)**، **وقيل: (التّصّوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب)**، وقيل غير ذلك.

يقول الشّيخ **أحمد زرّوق**: **(التّصوّف علم قصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله تعالى عمّا سواه. والفقه لإصلاح العمل، وحفظ النّظام، وظهور الحكمة بالأحكام. والأصول لتحقيق المقدّمات بالبراهين، وتحلية الإيمان بالإيقان، كالطّبّ لحفظ الأبدان، وكالنّحو لإصلاح اللّسان إلى غير ذلك)**[1]. وقال الإمام **الجنيد**: **(التّصوّف استعمال كلّ خُلُقٍ سَنِيٍّ، وتركُ كلّ خُلُقٍ دَنِيٍّ)**[2]. وقال بعضهم: **(التّصوّف كلّه أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتّصوّف)**[3]. وقال **أبو الحسن الشّاذليّ**: **(التّصوّف تدريب النّفس على العبوديّة، وردّها لأحكام الرّبوبيّة)**[4]. وقال **ابن عجيبة** رحمه الله: **(التّصوّف: هو علم**

---

[1] أبو العبّاس أحمد زرّوق الفاسيّ: تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في أمور أعمّها التّصوّف وما فيه من وجوه التّعرّف المسمّى اختصارا قواعد التصوف وشواهد التّعرّف، تحقيق نزار حمّادي، المركز العربيّ لكتّاب، الشّارقة، ص: 6.

[2] مصطفى المدني: رسالة النصرة النبوية لأهل الطّريقة الشّاذليّة الدّرقاويّة المدنيّة الفاسيّة، المطبعة العامرة الشّرفيّة، ط 1، مصر، ص: 22.

[3] مصطفى المدني: رسالة النصرة النبوية لأهل الطّريقة الشّاذليّة الدّرقاويّة المدنيّة الفاسيّة، ص: 22.

[4] حامد صقر: نور التحقيق في صحة أعمال الطريق، مطبعة دار التأليف بالمالية بمصر، ط 2، 1970، ص: 93.

يعرف به كيفيّة السّلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرّذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوّله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة) [1].

وقال الشّيخ زرّوق في (قواعد التّصوّف): **(وقد حُدَّ التّصوّف ورُسم وفُسّر بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجع كلّها لصدق التّوجّه إلى الله تعالى، وإنّما هي وجوه فيه)** [2].

(فعماد التّصوّف تصفية القلب من أوضار المادّة، وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم، فالصّوفيّ من صفا قلبه لله، وصفتْ لله معاملته، فصفت له من الله تعالى كرامته).

كما نجد غير المتصوفة من المسلمين قد عرفوه أيضا، ومنهم الدكتور إبراهيم هلال الذي قال: **(رغم كثرة التعريفات التي عرف بها التصوف الإسلامي في كتب التصوف وغيرها فإننا نستطيع أن نقول إن التصوف كما يراه الصوفية في عمومه هو السير في طريق الزهد، والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجوع والسهر في صلاة أو تلاوة ورد، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم سعياً إلى تحقيق الكمال النفسي كما يقولون وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة)** [3].

التّصوّف بين الكتاب والسّنّة: قاله أبو القاسم الجنيد: (**مذهبنا هذا مقيّد بالأصول: الكتاب والسّنّة**)، وقال أيضا: (**علمنا منوط بالكتاب والسّنّة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقّه لا يقتدى به**)، وقال أبو سليمان الدّارانيّ: (**ربّما تقع في نفسي النّكتة من نكت القوم أيّاما فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسّنّة**)، وقال سهل بن عبد الله التّستريّ: (**مذهبنا مبنيّ على ثلاثة أصول: "الاقتداء بالنّبيّ ﷺ، في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النّيّة في جميع الأعمال"**).

---

[1] عبد الله أحمد بن عجيبة: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ويليه كتاب كشف النّقاب عن سرِّ لبِّ الألباب، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيّالي، مركز التّراث الثّقافيّ المغربيّ، الدّار البيضاء، ص: 4.

[2] أبو العبّاس أحمد زرّوق الفاسيّ: تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في أمور أعمّها التّصوّف وما فيه من وجوه التّعرّف المسمّى اختصارا قواعد التصوف وشواهد التّعرّف، ص: 2.

[3] ابراهيم هلال: التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، دار النهضة العربية، ط 1، 1395هـ، ص: 1.

قال أبو العبّاس الآدميّ، وكان من كبار مشايخ الصّوفيّة وعلمائهم: (**من ألزم نفسه متابعة آداب الشّريعة، نوّر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه**).

وقال أبو القاسم الجنيد: (**الطّرق كلّها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرّسول ﷺ**). وقال أيضا: (**من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يُقْتَدَى به في هذا الأمر لأنّ علمنا هذا مقيّدٌ بالكتاب والسّنّة**).

ومن أقوال ذي النّون المصري: (**مدار الكلام على أربع: حبّ الجليل، وبغض القليل، واتّباع التّنزيل، وخوف التّحويل**). وقال: (**من علامات المحبّ لله عزّ وجلّ متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه**).

أوصاف المتصوّفة: (وأمّا من نسبهم إلى الصّفّة والصّوف فإنه عبّر عن ظاهر أحوالهم، وذلك أنّهم قومٌ قد تركوا الدّنيا، فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعْرَوا الأجساد، لم يأخذوا من الدّنيا إلاّ ما لا يجوزُ تركُه، مِنْ سَتْرِ عورة وسَدِّ جَوْعَة. فلخروجهم عن الأوطان سُمُّوا غُرباء، ولكثرة أسفارهم سُمُّوا سَيَّاحين. ومن سياحتهم في البراري وإيوائهم إلى الكهوف عند الضّرورات سمّاهم بعضُ أهل الدّيار[1]: "شَكْفَتِيَّة" والشَّكْفَتُ بلغتهم: الغارُ والكهفُ)[2].

ووصفهم السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ فقال: (**أكلُهم أكلُ المرضى، ونومهم نومُ الغرقى، وكلامُهم كلامُ الخَرْقَى**)[3].

---

[1] أهل الدّيار: أهل خراسان.

[2] أبو بكر الكلاباذي: التعرّف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: آرثر جون آربري، بيت الورّاق، ط 1، بغداد، 2010، ص: 11.

[3] أبو بكر الكلاباذي: التعرّف لمذهب أهل التصوف، ص: 12، الخرقى جمع أخرق، وهو الجاهل الأحمق. وقد وصف كلامهم بأنه ككلام الخرقى لأنه يعمى على مستمعيه فلا يفهمونه، فيظنونه بلا معنى أو مغزى ككلام الحمقى.

قال الجنيد: (**ما أخذنا التّصوّف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدّنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، لأنّ التّصوّف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى؛ وأصلُه التّعزُّفُ عن الدنيا، كما قال حارث: عزفت نفسي عن الدّنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظْمأْتُ نهاري**)[1].

(**وسمّيت هذه الطّائفةُ "نُورِيَّةً**")[2]، قال النّبيّ ﷺ: (**إذا دخل النّورُ في القلبِ انشرحَ وانفسحَ**)، قيل: وما علامةُ ذلك يا رسول الله؟، قال: (**التّجافي عن دار الغرور، والإنابةُ إلى دار الخلود، والاستعدادُ للموت قبل نزوله**).

اللّغة عند المتصوّفة: (انحصرت مشكلة متصوّفي تلك الفترة [ما قبل ابن عربيّ] في التّعبير، واشتركوا في الشّكوى من حدود الحرف وعدم طاقته الاستيعابيّة لأبعاد تجربة مطلقة. إذ أنّ الكلمة لا تستطيع أن تعبّر بتطابق كلّيّ عن الحال المَعِيشَةِ، فنرى المفردات تتعدّد بتسلسل متدرّج في محاولة يائسة ساعية نحو التّطابق مع التّجربة، ويظهر الحرف والكلمة في كتاباتهم "غيرًا" و"سوى" و"ثانيا" إلى جانب الراد منه، ويتّضح عجزه عن التّعبير عن ذات التّجربة، بل حتّى عن اتّحاده الحقيقيّ بمضمونه)[3].

(لا نجد عند شيخنا الأكبر تلك الشّكوى، من حدود الحرف وعجزه وتقصيره، بل العكس يتحوّل الحرف إلى ذاتِ مضمونِهِ، وبالتّالي لا تتعدّد لديه // المترادفات، بل كلّ مفرد هو غير الآخر، لأنّه وإن كان يرمز إلى الحقيقة الواحدة، إلاّ أنّ نسبته إليها من وجه خاصّ، لا يشترك فيه مع غيره. إذن انفردت الكلمة بمضمون وحيد، لأنّها استطاعت عند ابن عربيّ أن تكون المراد منها، فلم يحتج إلى التّعداد)[4].

الغلوّ عند المتصوّفة: يعتقد المتصوّفة في الله تعالى عقائد شتّى، منها الحلول كما هو مذهب الحلاّج، ومنها وحدة الوجود حيث عدم الانفصال بين الخالق والمخلوق.

---

[1] عبد العزيز السّيروان: الصوفيون وأرباب الأحوال، مواعظ وحكم وأقوال، السيروان للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1995، ص: 59.

[2] أبو بكر الكلاباذي: التعرّف لمذهب أهل التصوف، ص: 12.

[3] سعاد الحكيم: المعجم الصّوفيّ الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطّباعة والنّشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1981، ص: 15.

[4] سعاد الحكيم: المعجم الصّوفيّ الحكمة في حدود الكلمة، ص: 15، 16.

والغلاة منهم يعتقدون **في الرّسول** ﷺ أيضاً عقائد شتّى، فمنهم من يزعم أنّ الرّسول ﷺ لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنّه كان جاهلاً بعلوم رجال التّصوّف كما قال البسطاميّ: **(خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله)**. ومنهم من يعتقد أنّ الرّسول محمّد ﷺ هو قبّة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السّماوات والأرض والعرش والكرسيّ وكلّ الكائنات خُلقت من نوره، وأنّه أوّل موجود، وهذه عقيدة ابن عربيّ ومن تبعه. ومنهم من لا يعتقد بذلك بل يردّه، ويعتقد ببشريّته ورسالته.

ويعتقد الصّوفيّة **في الأولياء** عقائد شتّى، فمنهم من يفضّل الوليّ على النّبيّ، ومنهم من يجعلون الوليّ مساوياً لله في كلّ صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرّف في الكون.

ومنهم من لا يعتقد ذلك، ولكنهم أيضاً يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربّهم، سواء كان في حياتهم أو بعد مماتهم. وكلّ هذا بالطّبع خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدّين والتّقوى، وعمل الصّالحات، والعبوديّة الكاملة لله والفقر إليه، وأنّ الوليّ لا يملك من أمر نفسه شيئاً، فضلاً عن أنّه يملك لغيره، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**قل إنّي لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً**﴾ [1].

يتحدث الصّوفيّون عن (العلم اللّدُنِيّ) الذي يكون في نظرهم لأهل النّبوّة والولاية، كما كان ذلك للخضر عليه السّلام، حيث أخبر الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿**وعلّمناه مِنْ لَدُنَّا علماً**﴾ [2].

ومن عقائد بعض الصّوفيّة المتأخّرين:

1. **القول بالحلول:** وهي بدعة كفريّة أخذها من أخذها عن كفّار الهند، ومعناها عندهم أنّ الله حالٌّ في مخلوقاته فلا انفصال بين الخالق والمخلوق، وليس في الوجود إلا الله، وهذا ما يسمّى بوحدة الوجود.

2. **الغلوّ في الصّالحين** وفي مقدّمتهم سيّد الخلق ﷺ، حيث يعتقد الغالّون من الصّوفيّة أنّ النّبيّ ﷺ هو قبّة الكون، وأنّ الخَلْقَ ما خُلِقَ إلاّ لأجله ومن نوره، ويَقِلُّ منسوبُ الغلوّ عند بعضهم فيرى أنّ النّبيّ ﷺ بشرٌ رسولٌ، إلاّ أنّهم يستغيثون به طالبين المدد والعون، ولا يُستغاث إلاّ بالله جلّ جلاله كاشف الضّرّ ورافعه.

---

[1] سورة الجن، الآية:21.

[2] سورة الكهف، الآية: 65.

ومن أوجه الغلوّ عند الصّوفيّة كذلك الغلوّ في صالحيهم، حتى وُجِدَ في بعضهم من يعبد شيخَهُ فيسجد له ويدعوه، وربما قال: (**بعضُهم كلّ رزق لا يرزقنيه شيخي فلا أريده**)، ونحو هذه الأقوال، ويلقبّون قادتهم ومعلميهم بـ(الأقطاب والأوتاد)، ويجعلون لهم تصريف الكون، في منطق يجمع بين الجهل والسّخف وقلّة العقل والدّين.

3. **تقسيم الدّين إلى شريعة تلزم العامّة، وحقيقة تلزم الخاصّة**، فالشّريعة هي ما يسمّونه العلم الظاهر، والحقيقة هي ما يدعونه العلم الباطن، فالعلم الظّاهر والذي يمثّل الشّريعة معلوم المصدر وهو الكتاب والسّنّة، يدخل منه الجميع، أمّا علم الحقيقة، أو علم الباطن فهذا يدّعي الصّوفيّة أنّهم يأخذونه عن الحيّ الذي لا يموت ولا يصل إليه إلاّ المصطفون الأخيار، فيقول أحدهم: (**حدّثني قلبي عن ربّي**)، وذهب بعضهم إلى القول بأنّه (**يأخذ عن ملك الإلهام**)، **كما تلقّى الرّسول ﷺ علومه عن ملك الوحي، وزعم بعضهم (أنّ الرّسول ﷺ هو من يخبرهم بما يتوجّب عليهم من عبادة وذكر، وأنّهم يلتقون بالأنبياء ويسألونهم عن قصصهم)**، وقال آخر: (**إذا طالبوني بعلم الورق، برزت عليهم بعلم الخرق**). قال الإمام الذّهبيّ في السّير: (وجاء عنه (...) أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشّأن في ثبوتها عنه، أو أنّه قالها في حال الدّهشة والسّكر والغيبة والمحو فيُطوى ولا يُحْتَجُّ بها، إذْ ظاهرُها إلحادٌ مثل: **سبحاني، وما في الجبّة إلاّ الله، ما النّار؟! لأستندنّ إليها غدا وأقول اجعلني فداء لأهلها وإلا بلعتها، ما الجنة؟!! لعبة صبيان، ومراد أهل الدّنيا. ما المحدِّثون؟! إن خاطبهم رجل عن رجل، فقد خاطبنا القلب عن الرّبّ**، وقال في اليهود: **ما هؤلاء؟! هبهم لي أيُّ شيء هؤلاء حتى تعذّبهم**).

الغلوّ الصّوفيّ سواء في النّبيّ ﷺ، أو فيمن دونه كمشايخهم وساداتهم، فقد نهى الله سبحانه عن الغلوّ وبيّن أنّه سبب من أسباب الضّلال والانحراف عن الصّراط المستقيم، فقال سبحانه :﴿**يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحقّ**﴾ [1]، والغلوّ هو التّشديد في الأمر حتى يجاوز الحدّ فيه، ونهى النّبيّ ﷺ عن الغلوّ أيضا، فقال ﷺ: (**إيّاكم والغلوّ في الدّين، فإنّما أهلك مَنْ قبلكم الغُلُوُّ في الدّين**) وقال أيضاً: (**لا تطروني كما أطرت النّصارى المسيح ابن مريم، فإنّما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله**)، رواه البخاريّ.

[1] سورة النّساء، الآية: 171.

يقول مالك بن دينار: (لا يبلغ الرّجل منزلة الصّدّيقين حتّى يترك زوجته كأنّها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب)، ولكن، في المقابل، أباح الإسلام للإنسان أن يأكل من الطيبات كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾[2].

4. **بناؤهم العبادة على المحبّة فقط**، فلا يعبدون الله خوفا من ناره ولا طمعا في جنته، وقد قال بعض السّلف: **(من عبد الله بالحبّ وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروريّ - أي من الخوارج - ومن عبد الله بالرّجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحبّ والخوف والرّجاء فهو مؤمن موحّد)**.

7 ـ مآخذ على الصوفية:

من أبرز المآخذ التي تؤخذ على الصّوفية ما يلي:

1) الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

2) الشّرك الظّاهر أحيانا ممّا يبعدهم عن توحيد الألوهيّة وذلك بصرف بعض أنواع العبادة لغير الله تعالى.

3) الشّرك في توحيد الربوبية وذلك باعتقادهم أنّ بعض الأولياء يتصرّفون في الكون ويعلمون الغيب.

4) المبالغة في تقديس الرسول ﷺ.

5) المبالغة في تقديس الأولياء.

6) الادّعاءات الكثيرة الكاذبة، كادّعائهم عدم انقطاع الوحي وما لهم من المميّزات في الدّنيا والآخرة.

7) تساهل بعض الصّوفيّة في التزام أحكام الشّرع.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 172

[2] سورة الأعراف، الآية: 32

8) طاعة المشايخ والخضوع لهم، والاعتراف بذنوبهم بين أيديهم، والتمسّح بأضرحتهم بعد مماتهم.

9) تجاوزات كثيرة في هيئة ما يُعرف عندهم بالذكّر، كهزّ البدن والتّمايل يميناً وشمالاً، وذكر كلمة الله في كل مرة مجرّدة، والادّعاء بأنّ المشايخ مكشوف عن بصيرتهم، ويتوسلون بهم لقضاء حوائجهم، ودعاؤهم بمقامهم عند الله في حياتهم وبعد مماتهم.

10) (كانت رابعة تصلّي في اليوم واللّيلة ألفَ ركعة وتقول: ما أريد به ثوابا، ولكنْ ليُسرَّ رسول الله ﷺ ويقول للأنبياء: انظروا إلى امرأة من أمّتي هذا عملها في اليوم واللّيلة)[1].

مصطلحات صوفيّة:

الحبّ (أن يتخلّص هذا الهوى في تعلّقه بسبيل الله دون سائر السّبل، فإذا تخلّص له وصَفَا من كدورات الشّركاء من السّبل سُمِّيَ حبّا لصفائه وخلوصه... وكذلك الحبّ في المخلوقين، إذا تعلّق بجناب الحقّ سبحانه وتخلّص له من علاقته بالأنداد... يُسمِّيَ ذلك حبّا، بل قال فيه تعالى: ﴿**والذين آمنوا أشدّ حبًّا لله**﴾[2]...

الحبّ الدّين عند ابن عربيّ: (لعلّ الحبّ الإلهيّ لم يقف بالحياة الرّوحيّة لابن عربيّ عند حدّ التّغنّي به، والوصف لأحواله، والاستغراق في ذات المحبوب ومشاهدة جماله، وإنّما هو قد تجاوز هذا كلّه إلى نتائج أخرى لها خطرها وأثرها في الصِّلات الرّوحيّة والاجتماعيّة الإنسانيّة بين المعتنقين للأديان المختلفة: فابن عربيّ قد انتهى إلى أنْ يجعل من الحبّ دينا، فنظر إلى مختلف الأديان على أنّها على تعدّدها، واختلاف المرسَلين بها، وتعاقب الدّاعين إليها، إنّما تشترك في أصل واحد هو الحبّ، وتخاطب في الإنسان من حيث هو إنسان شيئا واحدا هو القلب. وعن هذا المذهب في دين الحبّ، أو في الحبّ والدّين، يعبّر ابن عربيّ كناية فيقول:

لقد صار قلبي قابلا كلّ صورة *** فمرعى لغزلان ودير لرهبانِ

---

[1] الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، ج 2، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، بيروت، لبنان، 1992، ص: 250.

[2] سورة البقرة، الآية: 165.

وبـيـتٍ لأوثـان وكـعـبـة طـائـفٍ *** وألـواح تـوراةٍ ومصـحـف قـرآنِ

أديـنُ بـديـنِ الحـبِّ أنّى تـوجّـهـت *** ركـائـبُـه، فـالحـبّ ديـني وإيـمـاني[1]

أوّل الحبّ عند الصّوفيّ: (... الشّاعر الصّوفيّ بدأ حياته الرّوحيّة مع محبوبته الحقيقيّة مدفوعا بدوافع الأثرة وحبّه لنفسه وإشباعه لهوى هذه النّفس من محبوبته، أيْ أنّه لم يكن يحبّ المحبوبة الحقيقيّة لذاتها بادئ ذي بدء، وإنّما كان يحبّها لأنّه كان يريد أن يستمتع بها لنفسه، كأن يظفر برؤية وجهها، أو سماع صوتها، أو ما شاء من رغبات الحسّ وأهواء النّفس)[2].

الحبّ عند ابن الفارض: (كان ابن الفارض شاعرا رقيقا، وكان صوفيّا متحقّقا، وكانت نفسه من الرّقّة، وحسّه من الدّقّة، وشعوره من الإرهاف، بحيث استوعب الحبُّ ظاهره وباطنه، واستغرق الجمالُ جوارحه وجوانحه، فلم يكن يحبّ الله في ذاته فحسب، ولا يتغنّى جمالَ الذّات الإلهيّة المطلق فحسب، وإنّما هو يحبّ كلّ شيء، وينجذب إلى كلّ جميل، ويُقبل على كلّ ما في الوجود على أنّه مشهد من المشاهد التي يتجلّى فيها ذلك الجمال الإلهيّ المطلق)[3].

أمّا **العشق**، فهو إفراط المحبّة أو المحبّة المفرطة... فإذا عمّ [الحبّ] الإنسانَ بجملته، وأعماه عن كلّ شيء سوى محبوبه، وسرت تلك الحقيقة في جميع أجزاء بدنه وقواه وروحه، وجرت فيه مجرى الدّم في عروقه ولحمه، وغمرت جميع مفاصله، فاتّصلت بوجوده، وعانقت جميع أجزائه جسما وروحا، ولم يبق فيه متّسع لغيره... حينئذ يُسمّى ذلك الحبّ عشقا.

أمّا **الودّ** فهو ثبات الحبّ أو العشق أو الهوى، أيّة حالة كانت من أحوال هذه الصّفة، فإذا ثبت صاحبها الموصوف بها عليها، ولم يغيّره شيء عنها، ولا أزاله عن حكمها... سُمِّيَ لذلك ودّا، وهو قوله تعالى:

---

[1] محمّد مصطفى حلميّ: الحبّ الإلهيّ في التّصوّف الإسلاميّ، دار القلم، 1960، ص: 132.

[2] محمّد مصطفى حلميّ: الحبّ الإلهيّ في التّصوّف الإسلاميّ، ص: 118.

[3] محمّد مصطفى حلميّ: الحبّ الإلهيّ في التّصوّف الإسلاميّ، ص: 113.

﴿سيجعل لهم الرّحمان ودّا﴾[1]، أي ثباتا في المحبّة عند الله... وللحبّ أحوال كثيرة جدّا... مثل: الشّوق والغرام والهيام والكلف والبكاء والحزن والكَبَد والذّبول والانكسار وأمثال ذلك)[2].

الحلول: اختلف الباحثون في تعريفهم للحلول، ومما قيل في تعريفه: إن الحلول هو أن يكون الشيء حاصلاً في الشيء، ومختصَّاً به، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقاً، أو تقديراً[3]

الاتحاد: هو **(القول باتحاد الله تعالى ببعض خلقه)**، ومنهم من يقولون: **(إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء)**، وهناك من قال في ذلك:

رقَّ الـزجـاجُ وراقـتِ الـخـمـرُ *** وتشـابَـهَـا فـتشـاكَـلُ الأمـرُ

فـكـأنَّـمَـا خـمـرٌ ولا قَـدَحٌ *** وكـأنَّـمَـا قَـدَحٌ وَلاَ خـمـرُ

نُسِبَ هذان البيتان لأبي نواس، ونسبا أيضاً للسهروردي، كما نُسِبا للصاحب بن عباد[4].

وحدة الوجود: وهناك قول آخرُ لا يقول بوجود ذاتين متفرقتين (ذاتٍ لله، وذاتٍ للمخلوق)، بل ما ثمَّ إلا ذاتٌ واحدة، وهو القول بوحدة الوجود.

(اتّهم الحلاّج بالقول بالحلول – أيْ حلول الله في الإنسان – حين لفظ ببعض الكلمات وهو في حال الوله الغالب المستولي على شعوره، مثل قوله:

أنـا مَـنْ أهـوى، ومـنْ أهـوى أنـا *** نـحـن روحـانِ حـلَـلْـنـا بـدنَـا

وهكذا يطيشُ سهمُ الحلاّج، فيأتي بكلمة "الحلول" دون مواربة. فتأخذ هذه الكلمة الطّائشة بيده إلى نهايته)[5].

---

[1] سورة مريم، الآية: 96.

[2] سعاد الحكيم: المعجم الصّوفيّ الحكمة في حدود الكلمة، ص: 303.

[3] **ينظر:** صابر طعيمة: الصوفية معتقدا ومسلكا، مكتبة المعارف، ط 2، الطّائف، 1985، ص: 247.

[4] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج 2، توحيد الرّبوبيّة، ص: 287.

[5] يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصّوفيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1988، ص: 76، 77.

وفي حالة أخرى، يقول الحلاّج وقد تملّكه الوجدُ الشّديدُ، فلم يعد يميّز الكلمات التي يوجّهها إلى محبوبه؛ الحقّ عزّ وجلّ:

أنتَ بين الشّغاف[1] والقلبِ تجري *** مثلَ جرْيِ الدّمعِ من أجفاني

وتَحُلَّ الضّميرَ جوفَ فؤادي *** كحلولِ الأرواحِ في الأبدانِ

(ولهذه العبارات التي تفوّه بها العاشقُ المولّه في حال نشوته، شهد عليه معاصروه بالكفرِ، وأخرجوه من زمرة المسلمين، رغم ما عُرِفَ منه من زهده الشّديد والتزامه بالعبادات)[2].

ولكنّ الحلاّج خارج شعر قد نفى قضيّة الحلول والامتزاج عندما قال: **("... وكما أنّ ناسوتيّتي مستهلكة في لاوهوتيّتك، غير ممازجة لها، فلاهوتيّتك مستوليّة على ناسوتيّتي، غير ممازجة لها".** وليس أدلّ على نفي الامتزاج بين الذّات الإلهيّة والذّات الإنسانيّة وإثبات التّفرقة بين الذّاتين، من قول الحلاّج: **"منْ ظنّ أنّ الإلهيّة تمتزج بالبشريّة، والبشريّة بالإلهيّة، فقد كفر، فإنّ الله تعالى تفرّد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم، // ولا يشبههم بوجه من الوجوه ولا يشبهونه".** ... وكأنّي بالحلاّج... يخاطب محبوبه الحقيقيّ وهو الله فيقول له عزّ وجلّ: لقد تحقّقتك في سرّي فوجدت معنيين في هذا التّحقّق: معنى في حال الصّحو الذي أشعر فيه بالافتراق عنك، وفيه تثبت الوحدانيّة لك، ومعنى في حال المحو، وفيه يُشعرني الوجد بالاجتماع بك والقرب منك، فأنا وأنت متّحدان ما دمت أنا واجدا، وأنت وأنا مفترقان ما دمت أنت بالوحدانيّة متفرّدا)[3].

---

[1] شغاف القلب: غلافه.

[2] يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصّوفيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1988، ص: 77.

[3] محمّد مصطفى حلميّ: الحبّ الإلهيّ في التّصوّف الإسلاميّ، ص: 108، 109.

المراجع:

1) القرآن الكريم.
2) ابراهيم هلال: التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، دار النهضة العربية، ط 1، 1395هـ.
3) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 2، توحيد الرّبوبيّة.
4) أبو العبّاس أحمد زرّوق الفاسيّ: تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في أمور أعمّها التّصوّف وما فيه من وجوه التّعرّف المسمّى اختصارا قواعد التصوف وشواهد التّعرّف، تحقيق نزار حمّادي، المركز العربيّ لكتاب، الشّارقة.
5) أبو بكر الكلاباذي: التعرّف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: آرثر جون آربري، بيت الورّاق، ط 1، بغداد، 2010.
6) حامد صقر: نور التحقيق في صحة أعمال الطريق، مطبعة دار التأليف بالمالية بمصر، ط 2، 1970.
7) الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، ج 2، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، بيروت، لبنان، 1992.
8) سعاد الحكيم: المعجم الصّوفيّ الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطّباعة والنّشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1981.
9) صابر طعيمة: الصوفية معتقدا ومسلكا، مكتبة المعارف، ط 2، الطّائف، 1985.
10) عبد العزيز السّيروان: الصوفيون وأرباب الأحوال، مواعظ وحكم وأقوال، السيروان للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1995.
11) عبد الله أحمد بن عجيبة: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ويليه كتاب كشف النّقاب عن سرِّ لبِّ الألباب، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيّالي، مركز التّراث الثّقافيّ المغربيّ، الدّار البيضاء.
12) محمّد مصطفى حلميّ: الحبّ الإلهيّ في التّصوّف الإسلاميّ، دار القلم، 1960.
13) مصطفى المدني: رسالة النصرة النبوية لأهل الطّريقة الشّاذليّة الدّرقاويّة المدنيّة الفاسيّة، المطبعة العامرة الشّرفيّة، ط 1، مصر.
14) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصّوفيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1988.